

Epistemological analysis of the concept of truth at David Deutsch

Dr. Ibrahim Razzouk*
Mahmoud Hassan**

(Received 21 / 11 / 2022. Accepted 20 / 12 / 2022)

□ ABSTRACT □

The concept of truth constituted the main pillar of epistemology throughout its long history, Philosophers and scientists considered the concept of truth is the main element in the process of cognitive research , The concept of truth was classified as the supreme goal that culminates the process of cognitive research , Therefore, philosophers of science have always sought to base their epistemological doctrines and epistemological theories on the concept of truth as the ultimate goal of all cognitive and scientific research , According to this rule, philosophers of science put forward their epistemological issues within the various fields of cognitive and scientific research in order to reach the cognitive and scientific facts through which they prove their epistemological theories and their epistemological doctrines .

The philosopher of science, David Deutsch, is one of the most prominent philosophers of science who researched in the concept of truth ‘ Deutsch considered that knowledge is in a state of constant and continuous development ‘ And the Infinite knowledge transcends the limits of the absolute, enters the threshold of infinity, and extends into the horizon of the infinite to break down the limitations of the absolute and build its infinite cognitive world that is based on the concept of truth that is fully logically realized by the mind , This is far from the limited sensory perception that is restricted to the five senses , This, in turn, contributes to the development of all areas of general human knowledge.

Deutsch emphasized that the original source of knowledge is the mind ‘ Thus, knowledge is purely mental and has logical laws, as these laws work to provide mental explanations for scientific and cognitive phenomena in order to reach the cognitive facts , This, in turn, contributes to the development of a holistic view of knowledge, and directly contributes to the epistemological analysis of the concept of truth , So that the knowledge of the changes that occur in all fields of knowledge with its various specializations and its multiple facts is reached , Deutsch shows that knowledge is constantly generated and that there are no definitive explanations for the scientific and cognitive phenomena that exist in the world , All knowledge contains certain percentages of errors, and this is one of the logical reasons that promote the idea of permanent and continuous development and growth of knowledge.

Keywords : Epistemology, theory of knowledge, concept of truth, fabric of truth .

*professor , Dept. of philosophy , faculty of arts humanities , Tishreen university , Lattakia , Syria .
**PHD student, Dept. of philosophy , faculty of arts humanities , Tishreen university , Lattakia , Syria.

التحليل الإبستمولوجي لمفهوم الحقيقة عند ديفيد دويتش

د. إبراهيم رزوق*

محمود حسن**

(تاريخ الإيداع 21 / 11 / 2022 . قبل للنشر في 20 / 12 / 2022)

□ ملخص □

شكّل مفهوم الحقيقة الركن الأساسي في نظرية المعرفة عبر تاريخها الطويل ، واعتبر الفلاسفة والعلماء بأنّ مفهوم الحقيقة هو العنصر الأساسي في عملية البحث المعرفي ، وصنّف مفهوم الحقيقة بأنه الهدف الأسمى الذي تتوجّ به عملية البحث المعرفي ، ولذلك سعى فلاسفة العلم بشكل دائم إلى تأسيس مذاهبهم الإبستمولوجية ونظرياتهم المعرفية على مفهوم الحقيقة باعتباره الغاية القصوى لجميع عمليات البحث المعرفي والعلمي ، ووفقاً لهذه القاعدة طرح فلاسفة العلم قضاياهم الإبستمولوجية ضمن مجالات البحث المعرفي والعلمي المتنوعة بهدف الوصول إلى الحقائق المعرفية والعلمية التي يثبتون من خلالها نظرياتهم المعرفية ومذاهبهم الإبستمولوجية .

وبعدّ فيلسوف العلم ديفيد دويتش من أبرز فلاسفة العلم الذين بحثوا في مفهوم الحقيقة ، حيث اعتبر دويتش أن المعرفة في حالة تطور دائم ومستمر ، وإن المعرفة لانهاية تتجاوز حدود المطلق وتدخل عتبة اللانهاية وتمتد في أفق اللامحدود لتحتّم قيود المطلق وتبني عالمها المعرفي اللانهائي الذي يرتكز على مفهوم الحقيقة التي تدرك بالعقل إدراكاً منطقيّاً تاماً ، وذلك بعيداً عن الإدراك الحسي المحدود والمقيّد بالحواس الخمس ، وهذا بدوره يسهم في تطوير جميع مجالات المعرفة البشرية العامة .

وأكدّ دويتش بأن المنبع الأصلي للمعرفة هو العقل ، وبالتالي إن المعرفة عقلية بحتة وذات قوانين منطقية ، حيث تعمل هذه القوانين على تقديم تفسيرات عقلية للظواهر العلمية والمعرفية بهدف الوصول إلى الحقائق المعرفية ، وهذا بدوره يساهم في تطور الرؤية الشمولية للمعرفة ، ويسهم بشكل مباشر في تحليل مفهوم الحقيقة تحليلاً إبستمولوجياً ، بحيث يتم الوصول إلى معرفة التغيرات التي تطرأ على جميع الحقول المعرفية باختصاصاتها المتنوعة وحقائقها المتعددة ، حيث يبين دويتش بأن المعرفة تولد باستمرار وبأنه لا يوجد تفسيرات نهائية للظواهر العلمية والمعرفية الموجودة في العالم ، وإن جميع المعارف تحتوي على نسب معينة من الأخطاء وهذا أحد الأسباب المنطقية التي تعزز فكرة تطور ونمو المعرفة بشكل دائم ومستمر .

الكلمات المفتاحية : الإبستمولوجيا ، نظرية المعرفة ، مفهوم الحقيقة ، نسيج الحقيقة .

* أستاذ ، قسم الفلسفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية .

** طالب دراسات عليا (دكتوراه) ، قسم الفلسفة ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية .

مقدمة:

يعدّ مفهوم الحقيقة من أهم المفاهيم المعرفية التي تركز عليها عملية البحث الإستمولوجي ، حيث يمثّل مفهوم الحقيقة القيمة العليا في ميدان البحث العلمي والمعرفي ، وذلك باعتبار أن الحقيقة هي الغاية المقصودة من عملية المعرفة بأنواعها المتعددة ضمن الحقل العلمي والمعرفي العام ، وضمن هذا السياق برز مفهوم الحقيقة كمفهوم متطور حيث يتطور بتطور المعارف والوقائع العلمية التي تتضمنها هذه المعارف ، وامتلك مفهوم الحقيقة معنى متجدد وذلك نتيجة لتجدد المضمون المعرفي للنظريات المعرفية التي تبحث عن الحقيقة الكامنة وراء الظواهر العلمية المدروسة ، وبذلك يتقدم مفهوم الحقيقة نحو القيمة اللانهائية ، حيث يتجاوز مفهوم الحقيقة جميع الحدود التي تقيد من تطور المعارف وتقدمها ، وبذلك يتحرر مفهوم الحقيقة من سلطة المعرفة المقيدة النهائية ، وتصبح الحقيقة قيمة معرفية عليا متطورة باستمرار باتجاه التقدم اللانهائي .

وأكد ديفيد دويتش ضمن فلسفته العلمية بأن العقل هو مصدر جميع الحقائق ، حيث اعتبر العقل بأنه المرجع الأول لبناء الحقائق التي تركز عليها جميع المعارف ، ويؤكد على القدرة العقلية التي تميّز الإنسان العاقل والتي تجعله فريد من نوعه بوصفه كائن عقلي متطور يستطيع من خلال العقل البحث عن الحقائق واكتشافها بشكل مستمر وفق تطورها اللانهائي ، حيث يتم التوصل إلى القوانين التي تحكم عملية التطور المعرفي وبناء الحقائق العلمية ، وضمن هذا السياق يتبين بأن مفهوم الحقيقة قائم على مبدأ التراكمية العلمية ، حيث اعتبر دويتش بأن العلم لا يأتي من عدم بل إنه يتطور باستمرار وذلك وفقاً للنماذج العلمية التي سبقته ضمن ميدان المعرفة العلمي ، ويعتبر دويتش بأن عملية التطور المعرفي هي عملية متجددة باستمرار ولا تتوقف عند حدّ معين .

ويوضح دويتش بأن المعرفة في عملية نمو مستمر وهذا ما يدعو للتفاوض فيما يخص مستقبل البشرية ، حيث إن تطور المعرفة وأدواتها يساعد على خلق حياة أفضل لبني البشر على كافة الأصعدة الحياتية ، وإن مفهوم الحقيقة القائمة على التقدم العلمي الراهن والمستمر يقدم حلول لجميع المشاكل التي تعترض طريق المعرفة وتطورها ، ويساعد على إيجاد حلول لجميع المشاكل التي تعترض طريق الإنسان بشكل عام ، وهذه هي إحدى الغايات الأساسية لوجود المعرفة ، ويعتبر دويتش بأن امتلاك الإنسان لقوى التغيير يعود إلى العقل الكامن في الذات الإنسانية العاقلة ، وهذا ما يتيح للإنسان العاقل التفكير بشكل عقلي صحيح بما يخدم عملية التطور المعرفي في كافة ميادين المعرفة العلمية ، وعلى هذا الأساس المعرفي يبحث دويتش في مفهوم الحقيقة ، ويحلّل نسيج الحقيقة بشكل منطقي ودقيق من أجل أن يوضح الأركان الأساسية التي يرتكز عليها مفهوم الحقيقة .

أهمية البحث وأهدافه :

تأسست الإستمولوجيا على قاعدة فلسفية علمية تضمنت مجموعة من المفاهيم الإستمولوجية الهامة ، ومن أبرز هذه المفاهيم : مفهوم الحقيقة الذي ارتكزت عليه فلسفة العلم بوصفه واحداً من أهم المبادئ المعرفية التي تبنى عليها المعارف الفلسفية والعلمية ، وضمن هذا السياق اتخذ مفهوم الحقيقة مكانة علمية مرموقة في ميدان البحث الإستمولوجي ، وذلك لأن مفهوم الحقيقة يشكل أهم أهداف عملية البحث الإستمولوجي عن المعارف ، وعلى هذا الأساس امتلك مفهوم الحقيقة بعداً إستمولوجياً هاماً ضمن فلسفة العلم ، ومن هذا المنطلق تكمن أهمية البحث في مفهوم الحقيقة عند فيلسوف العلم ديفيد دويتش ، وذلك من أجل تحليل مفهوم الحقيقة تحليلاً إستمولوجياً عاماً في

ميدان المعرفة العلمية والفلسفية ، ومن أجل تحليله تحليلاً إبستمولوجياً خاصاً عند فيلسوف العلم ديفيد دويتش ، وذلك بهدف توضيح الدور الإبستمولوجي لمفهوم الحقيقة ضمن ميدان البحث المعرفي والعلمي .

يهدف هذا البحث إلى تحليل مفهوم الحقيقة ضمن البناء الكلي للمعرفة بشكل عام ، وضمن فلسفة العلم عند ديفيد دويتش بشكل خاص ، وذلك من أجل تقديم دراسة شاملة وتحليلية لمفهوم الحقيقة ومقارنة النتائج وقياس أهميتها ضمن ميدان البحث العلمي والفلسفي ، وذلك بهدف تحديد البعد الإبستمولوجي لمفهوم الحقيقة وتطوره ضمن نظرية المعرفة ، وهذا يصبّ في عملية التطور المعرفي للمناهج المستخدمة في الإبستمولوجيا ، ويحدّد مستوى علاقة الترابط المعرفي القائمة بين المناهج المعرفية ومفهوم الحقيقة ، وذلك بهدف توضيح الأثر الإبستمولوجي لمفهوم الحقيقة ضمن فلسفة العلم بشكل عام ، وضمن فلسفة العلم عند ديفيد دويتش بشكل خاص .

منهجية البحث :

اقتضى البحث في موضوع (التحليل الإبستمولوجي لمفهوم الحقيقة عند ديفيد دويتش) استخدام المنهج النقدي التحليلي ، وذلك لتقديم دراسة نقدية وتحليلية لمفهوم الحقيقة بشكل عام ضمن فلسفة العلم ، وبشكل خاص ضمن فلسفة العلم عند ديفيد دويتش ، وذلك في سياق تحديد ومعرفة الأثر الإبستمولوجي لمفهوم الحقيقة في نظرية المعرفة ، وبهدف تحليل مفهوم الحقيقة عند دويتش لمعرفة الأبعاد الإبستمولوجية للنسيج المعرفي لمفهوم الحقيقة ، بما يساهم في دراسة المضمون الإبستمولوجي لمفهوم الحقيقة في فلسفة العلم ، وهذا بدوره يوضّح أهمية مفهوم الحقيقة ضمن البناء الإبستمولوجي العام لنظرية المعرفة العلمية والفلسفية .

الإطار النظري :

أولاً : المعنى الإبستمولوجي لمفهوم الحقيقة

كوّن مفهوم الحقيقة المركز الفعلي لدائرة المعارف ، حيث تتجاذب جميع المعارف بدوائرها المعرفية المتنوعة حول مركز واحد هو مفهوم الحقيقة ، حيث تبدأ المعرفة بعملية البحث المعرفي التي تصب في غاية واحدة وهي اكتشاف الحقيقة الكامنة في الوقائع العلمية المدروسة ، وهذا ما أعطى لمفهوم الحقيقة معنىً إبستمولوجياً معرفياً خاصاً ، وبالتالي مثّلت الحقيقة الإشكالية المعرفية الكبرى في فلسفة العلم المعاصرة .

تنوعت الحقائق بتنوع المذاهب العلمية والمعرفية التي تبحث عن مفهوم الحقيقة ، حيث اعتبر بعض فلاسفة العلم بأن الحقيقة عقلية كونها نابعة من العقل وعملياته المعرفية المتنوعة ، وضمن هذا السياق تنصف المعرفة بأنها مفهوم ثابت كونها نابعة من العقل ، فالعقل هو المصدر الفعلي للحقائق بحسب أتباع النظرية العقلية في المعرفة ، بينما اعتبر بعض فلاسفة العلم الآخرين بأن المعرفة مرتبطة بالواقع المادي المتغير ، وهذا النوع من الحقائق يتغير وفقاً للظروف المادية المتغيرة ، فمفهوم الحقيقة عند أتباع هذه النظرية متغير ومتبدل باستمرار ، وضمن هذا الإطار نشأت الإشكالية المعرفية لمفهوم الحقيقة بين الثبات والتغير ، حيث اعتبر قسم من فلاسفة العلم بأن الحقيقة ثابتة ومطلقة ولا تتغير ، بينما اعتبر البعض الآخر بأن الحقيقة متغيرة ونسبية .

وعلى الرغم من جميع الاختلافات في وجهات النظر العلمية حول مفهوم الحقيقة ، فقد بقيت الحقيقة هي الموجه الأساسي للمعرفة بعملياتها المعرفية المتنوعة ، وبذلك فإنّ (مفهوم المعرفة بما هي تمثّل ، مرتبط ارتباط وثيق بمفهوم

الحقيقة بما هي توافق ، فعندما نرفض أحدها نكون قد رفضنا الثاني (¹) ، هنا يتبين مدى الترابط الوثيق بين المعرفة ومفهوم الحقيقة ، حيث لا يوجد معرفة من دون حقيقة ، ولا توجد حقيقة من دون معرفة ، وهذا الترابط الكوني القائم بين المعرفة ومفهوم الحقيقة هو السرّ المعرفي الكامن وراء تطور المعرفة باستمرار من دون توقف ، حيث تصبح عملية البحث المعرفي عن الحقيقة هي العملية الجوهرية التي تحدّد المعرفة بأطرها العلمية الصحيحة ، وبذلك عندما يتم التوصل إلى مفهوم الحقيقة ضمن عملية البحث المعرفي القائمة ، فإنه يتم تحقيق الغاية المعرفية الأساسية القائمة في نظرية المعرفة وهي اكتشاف الحقائق اكتشافاً علمياً دقيقاً .

وقد سعت معظم المعارف للتأكد من حقائقها ، وذلك عبر اختبار هذه الحقائق ومعرفة مدى مطابقتها للواقع المعرفي الصحيح (فالحقيقي إذن هو الواقعي)² ، وضمن هذا السياق تنتقل الحقيقة من مستواها النظري إلى مستواها التطبيقي وتصبح حقيقة واقعية ذات فائدة علمية ملموسة ، وهذا هو الهدف الأسمى للمعرفة وللمذاهب العلمية القائمة في العصر الراهن ، وإن التطبيق العملي للحقيقة في الواقع العلمي يتم من خلال استخدام ملكات الذات العاقلة التي تتضمن ملكة التفكير والتحليل والنقد العلمي والاستنتاج وغيرها من الملكات المعرفية الأخرى ، وضمن هذا السياق تصبح الحقيقة عقلية كونها ترتبط ارتباطاً وثيقاً بملكات العقل عند الذات العاقلة ، حيث يتم استخدام هذه الملكات العقلية من أجل قياس مدى مطابقة الحقائق للواقع العلمي الراهن .

ويعمل مفهوم الحقيقة بشكل مستمر من أجل تحرير العقل البشري من كل القيود على جميع المستويات المتنوعة ، حيث تحرّر الحقيقة الوجود الإنساني من جميع العقبات التي تعيق تقدم الفكر الإنساني وتفتح الحقيقة آفاقاً جديدة للإنسان بوصفه ذاتاً عاقلة تتميز عن سائر المخلوقات الأخرى الموجودة على سطح الخليقة بالعقل ، حيث يتم خلق بيئة جديدة من الحريات الفكرية المتنوعة أمام الإنسان الواعي عند بحثه عن الحقائق المتنوعة ضمن الأوساط العلمية المحيطة بالإنسان ، وبالتالي : (لقد انكشفت ماهية الحقيقة كحرية)³ ، ونتيجةً لذلك يبرز مفهوم الحقيقة كمفهوم معرفي ينقذ الإنسان من كل ما يعيقه عن التطور المعرفي ، وتصبح الحقيقة هي الغاية المركزية لكل معرفة على اختلاف أنواعها ومقاصدها المعرفية المتنوعة ، وبالتالي تعمل الحقيقة بشكل دائم على إنقاذ الباحث المعرفي من كل الأخطاء المحتملة التي يمكن أن يقع في شباكها ، كما وتخلص الحقيقة الفكر الإنساني من كل المفاهيم والتصورات المسبقة التي تمنع المعرفة من التقدم والتطور ، وبذلك يتجلى الإنسان ككائن معرفي يبحث بشكل دائم عن الحقائق ، لأن الحقيقة تعبر بشكل واضح عن جوهر الوجود الإنساني ، وبذلك تجسد قيمة العقل الإنساني من خلال الاكتشاف المستمر للحقيقة والمفاهيم المعرفية المرتبطة بها .

وعادةً يتعرض الباحث عن المعرفة والحقائق المرتبطة بها لمجموعة من العقبات المعرفية التي تعيق طريقه المعرفي في بحثه عن الحقائق ، ومن أهم هذه العقبات هي قصور الحواس الإنسانية عن إدراك الحقيقة بشكل كامل ، حيث تتصف الحواس الإنسانية بأنها نسبية ولا تستطيع الإحاطة بالمعرفة من كل جوانبها ، وهذا ما يتم ملاحظته عند استخدام الحواس الإنسانية في عملية القياس المعرفي ضمن التجارب العلمية ، حيث تختلف النتائج العلمية من باحث معرفي إلى باحث آخر ، وذلك بسبب الأخطاء الحاصلة من الحواس ونسبية إدراكها المعرفي .

¹ _ هابرماس ، يورغن : اتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة ، ت: د. عمر مهيبيل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2010 ، ص 59 .

² _ هيدجر ، مارتين : التقنية - الحقيقة - الوجود ، ت: محمد سبيلا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1995 ، ص 11 .

³ _ المصدر السابق نفسه ، ص 28 .

ويرتبط مفهوم الحقيقة ارتباطاً وثيقاً بمفهوم المنهج العلمي ، حيث يعدّ المنهج العلمي الموجّه الأساسي لعملية البحث المعرفي عن الحقائق المعرفية ، ولا يمكن الوصول إلى أية حقيقة معرفية دون استخدام المنهج العلمي المناسب من أجل اكتشاف الحقيقة المراد معرفتها ، وبالتالي إن العلاقة بين المنهج والحقيقة هي علاقة جدلية ثابتة ، وإن الترابط المعرفي القائم بين المنهج والحقيقة هو ترابط ثابت ومطلق ، وضمن هذا السياق تتصف العلاقة بين المنهج والحقيقة بأنها علاقة ضرورية فلا يمكن الوصول إلى الحقيقة من دون استخدام المنهج العلمي المناسب ، وإذا كان المنهج العلمي هو نقطة البداية في عملية البحث المعرفي فإن الحقيقة هي نقطة النهاية التي تنتج بها عملية البحث المعرفي . وعلى الرغم من اختلاف المناهج العلمية المستخدمة في عملية البحث المعرفي عن الحقائق ، فإن لجميع المناهج هدف معرفي واحد وهو اكتشاف الحقائق ، من أجل توظيفها معرفياً ضمن العالم الإنساني بما يساهم في حلّ المشاكل المرتبطة بالواقع العلمي والمعرفي على جميع الأصعدة المختلفة ، وإن ما يميّز كل منهج معرفي عن المناهج المعرفية الأخرى هو القواعد المنهجية الخاصة بكل منهج ، حيث يتم اختيار المنهج المناسب لكل حقل معرفي بحسب المضمون المعرفي الخاصّ به .

ويتبين ضمن هذا السياق المعرفي بأن عملية التفكير هي العملية العقلية الموجهة للمنهج العلمي ، حيث توجّه عملية التفكير الذات العاقلة الباحثة عن المعرفة من أجل استخدام قواعد المنهج العلمي بشكل صحيح ، بهدف اختيار أدوات البحث العلمي المناسبة ، كما وتوجّه عملية التفكير الذات الباحثة من أجل توظيف قواعد المنهج المستخدم في عملية البحث المعرفي من أجل اكتشاف قيم الحقيقة ، وذلك بما يساهم في تقديم الحلول المعرفية للمشاكل العلمية التي تعترض طريق تقدّم العلم والمعرفة ، وبالتالي يتبين بأن : (الحياة تفكر ، والفكر يحيى)⁴ ، وهكذا تصبح العلاقة القائمة بين التفكير الإنساني والحياة الإنسانية علاقة جدلية بامتياز ، فلا قيمة للحياة الإنسانية من دون تفكير ، ولا قيمة للتفكير إلا ضمن نطاق الحياة الإنسانية ، وعند هذه النقطة تكمن عملية الاستمرار المعرفي في اكتشاف الحقائق التي تلعب الدور الأساسي في تطوير العلم والمعرفة .

يعدّ مفهوم الحقيقة مفهوماً ثابتاً في الأصل ، لكن عملية التعبير عن مفهوم الحقيقة بالصيغ المعرفية المختلفة تختلف من ميدان معرفي إلى ميدان معرفي آخر ، كما وتختلف صيغ التعبير عن الحقائق ضمن ذات الميدان المعرفي الواحد من فيلسوف علم إلى فيلسوف علم آخر ، وهذا بدوره يساهم بشكل فعّال في عملية التطور المعرفي ضمن جميع الميادين العلمية ، وبالتالي يتبين بأن : (الحقيقة واحدة ، ولكن عباراتها (التعبير عنها) مختلفة)⁵ ، وإن هذه العملية تساهم بشكل فعّال في التنوع المعرفي القائم ضمن الميادين المعرفية المتنوعة ، وذلك يساهم في تطوير النظريات والمذاهب المعرفية المتنوعة ودفع عجلة التقدم العلمي باستمرار نحو الأمام .

وبالدراسة التاريخية لمفهوم الحقيقة ، وبالعودة تاريخياً إلى بدايات تكوّن مفهوم الحقيقة ، يتبين لنا بأن كلاً من السلطة الدينية والسلطة السياسية قد احتكرتا مفهوم الحقيقة ، حيث اعتبرت السلطة الدينية بأن رجال الدين هم المشرّع الأصلي للحقائق المرتبطة بالوجود الإنساني والكوني ، وكذلك اعتبرت السلطة السياسية بأن رجال السياسة في الطبقة الحاكمة

⁴ - غادامير ، هانز : الحقيقة والمنهج ، ت: د. حسن ناظم ، دار أوبا ، طرابلس ، 2007 ، ص 303 .

⁵ _ بنمخولف ، علي : الحقيقة ، ت : عبد القادر قنيني ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2005 ، ص 34 .

هم المشرعون للحقائق بشتى أنواعها ، وهكذا كان مفهوم الحقيقة في مرحلة البدايات عبارة عن : (قول يصدر عن أشخاص (ملوك وكهنة) منهم يتخذ قيمته نظراً لموقعهم الخاص وماهيتهم أو طبيعتهم السامية)⁶ . ولكن مع بداية العصور الحديثة وانتهاء العصور القديمة التي غلب عليها الفكر الغيبي ، تم الانتقال لمرحلة جديدة تميّزت بالتطور المعرفي الجديد ، حيث انتقل مفهوم الحقيقة من قبضة رجال الدين والسياسة إلى قبضة العلماء ، وبذلك تم الإعلان عن مرحلة انتهاء الفكر الغيبي الذي سيطر على فضاء المعرفة لفترات طويلة ، والذي قيّد عملية التطور المعرفي خلال عصور طويلة مضت ، وبذلك انتقل مفهوم الحقيقة من السماء إلى الأرض وأصبح العقل الإنساني الواعي والمفكر والمبدع هو المنبع الأصلي والجوهري للحقائق ، وبالتالي انتقل مفهوم الحقيقة إلى الحيز الإنساني المبدع ، وهكذا يتبين بأنه : (يبني العلم بالحقائق ، مثلما يبني المنزل بالأحجار ، إلا أنّ مجموعة الحقائق لا تمثل علماً ، بقدر ما لا تمثل كومة الأحجار منزلاً)⁷ .

وبالتالي إن الحقائق ضمن ميادين المعرفة المختلفة يجب أن تتظّم وفق إستراتيجية معرفية محددة لكي يتم تشكيل علم من مجموع هذه الحقائق ، وإلا فإن هذه الحقائق ستبقى من دون فائدة معرفية ، وهكذا فإن عملية بناء المعرفة تحتاج إلى هندسة معرفية محددة ، بحيث يتم من خلالها جمع الحقائق من خلال منهج معرفي منظم وفق خطة معرفية معينة من أجل بناء العلوم ضمن الهرم المعرفي المناسب بشكل علمي دقيق ، وضمن هذا السياق المعرفي تم بناء صيغ علمية جديدة لمفهوم الحقيقة ، تم فيها التعبير عن المضمون الإستمولوجي لمفهوم الحقيقة ، وأصبح التفكير العلمي هو التفكير السائد في العصور الحديثة ، حيث حلّ التفكير العلمي محلّ التفكير الغيبي الذي كان سائداً في العصور القديمة ، كما واتسمت الحقيقة في العصور الحديثة بأنها تسعى لأن تكون واقعية وموضوعية بقدر الإمكان . نستنتج مما تقدم أنّ : مفهوم الحقيقة من أهم المفاهيم المعرفية التي يتم استخدامها ضمن الحقل المعرفي والعلمي ، حيث لا توجد قيمة علمية لأي معرفة إلا من خلال حقائقها المعرفية والعلمية التي يتم بناؤها على أساس منطقي ومثبت علمياً من خلال قواعد المناهج العلمية التي يتم استخدامها في عملية البحث العلمي عن الحقائق بهدف الوصول إلى قيم الحقيقة ، وكيفية تطبيق هذه القيم المعرفية المرتبطة بالحقائق ضمن الحقول المعرفية المختلفة ، وضمن هذا السياق سعى جميع فلاسفة العلم على اختلاف توجهاتهم المعرفية والفلسفية العلمية من أجل استنتاج الحقائق ضمن مذاهبهم الإستمولوجية المتنوعة .

ثانياً : الأبعاد الإستمولوجية لنسيج الحقيقة عند ديفيد دويتش

يعدّ فيلسوف العلم ديفيد دويتش من أبرز فلاسفة العلم الذين بحثوا في مفهوم الحقيقة ، حيث بيّن دويتش بأن مفهوم الحقيقة هو المفهوم الأهم في عالم المعرفة وإن جميع المعارف ترتكز على مفهوم الحقيقة ، حيث وضّح بأن الحقيقة هي نقطة البدء في بناء أي معرفة جديدة وهي حجر الأساس في أي نظرية علمية جديدة ، ووضّح دويتش بأن الحقيقة تمتلك نسيجاً معرفياً خاصاً بها ، حيث نُسجت الحقيقة بحسب دويتش من أربع نظريات معرفية وهي : أولاً : نظرية الكم : والتي توضّح بأن الكون الذي نعيش فيه ليس منفرداً ، ولكنه واحد من عدد لا نهائي من الأكوان . ثانياً : نظرية المعرفة كما صاغها كارل بوبر : والتي تهدف إلى تفسير واقعي للعلوم الحديثة مبني على الفرضيات والحديسات التي لا تقبل التكذيب .

⁶ _ المرجع السابق نفسه ، ص 47 .

⁷ _ وين ، تشارلز : الطفرات العلمية الزائفة ، ت: محمد خضر ، كلمات عربية ، مصر ، 2011 ، ص 15 .

ثالثاً : نظرية الحوسبة : والتي تسمى بنظرية الحوسبة الكمية .

رابعاً : نظرية التطور التي وضعها تشارلز دارون : والتي خضعت خلال القرن العشرين لتعديلات كثيرة منها نظرية الاستنساخ .

يعمل دويتش من خلال أبحاثه الإستمولوجية على ربط هذه النظريات الأربعة ببعضها البعض من أجل تكوين نسيج الحقيقة المعرفي ، حيث يعدّ دويتش بأن نسيج الحقيقة هو القاعدة الأساسية لبناء أي معرفة جديدة ، ولا يمكن تأسيس أي معرفة علمية من دون ربط هذه المعرفة بالقوانين العلمية التي يتضمنها نسيج الحقيقة المعرفي ونظرياته العلمية والفلسفية الأربعة .

وتعدّ نظرية الكم : النظرية الأولى في نسيج الحقيقة كما بين دويتش ، ومن أهم النتائج العلمية التي توصلت إليها هي أنه يوجد أكوان متعددة بشكل لا نهائي ، حيث توجد ملايين الملايين من الأكوان التي تتشابه في ظروفها مع ظروف الكون الذي يعيش فيه الإنسان ، كما وتوجد ملايين الملايين من الأكوان الأخرى التي تختلف بظروفها عن ظروف الكون الذي يعيش فيه الإنسان .

وتشكّل الإستمولوجيا كما صاغها فيلسوف العلم كارل بوبر : النظرية الثانية في نسيج الحقيقة عند دويتش ، وإستمولوجيا بوبر هي : (الفلسفة العلمية التي تعرف بنظرية المعرفة الارتقائية والتي سادت خلال القرن العشرين وغيّرت تماماً من النظرة إلى المعرفة ، والفكرة الرئيسية فيها التي أتى بها كارل بوبر تدور حول التمييز بين الزيف والحقيقة ، فالزيف معرفة لا يمكن التحقق من صحتها بل يمكن تكذيبها ، والحقيقة هي المعرفة التي يمكن إثباتها ، أما المعارف التي لا يمكن إثباتها ولا تكذيبها ، يصنّفها على أنها حدسية أو بعبارة أخرى : عقيدة⁸ ، حيث يبين بوبر من خلال الإستمولوجيا الخاصة به بأن المعرفة في حالة من التطور والنمو الدائم حيث إن كل فرضية علمية تدخل حيز التكذيب ، فإنه يتم استبدالها بفرضية علمية أخرى ، وهكذا حتى يتم الوصول إلى الفرضية العلمية التي تتميز بصدقها وعدم القدرة على تكذيبها حالياً ، ويطلق بوبر على هذا المنهج العلمي منهج المحاولة والخطأ ، وهذا المنهج هو الذي يوجّه طريق المعرفة في سبيل تحصيل الحقائق العلمية وبناء المعارف الصادقة كما يوضّح دويتش ، وضمن هذا السياق تعتبر جميع النظريات العلمية صادقة وحقيقية طالما نستطيع إثبات مصداقيتها من خلال منهج التكذيب المعرفي ، وعندما تصبح النظريات العلمية غير ملائمة لتفسير الوقائع العلمية الراهنة ، فإنه يتم استبدالها بنظريات علمية تمتلك فروضاً علمية ملائمة للوقائع العلمية الراهنة وقادرة على تفسيرها بشكل منطقي وصحيح .

أما النظرية الثالثة التي يعدها دويتش ضمن نسيج الحقيقة فهي : (نظرية الحوسبة التي أرسى قواعدها آلان تورينج عام 1937 حين قال بوجود آلة حاسبة مجردة وعالمية) وتعرف حالياً بالآلة بورينج (يمكنها إجراء أية حسابات مما يستطيع أي حاسب مادي إجراؤها)⁹ ، ويعدّ دويتش من أهم أنصار علم الحوسبة الكمية ، وإنّ دويتش (يؤكد على وجود كومبيوتر كمي عالمي في نهاية الزمان والمكان تشرف عليه كائنات عاقلة لديها القدرة والمعرفة اللازمة لتضخيم ذاكرته ومضاعفة سرعته وتزويده بالطاقة اللازمة لذلك ، بحيث يتمكن من محاكاة أية بيئة في الوجود)¹⁰ ، وهنا يتبين بأن دويتش قد أقرّ بأنّ لنسيج الحقيقة بعد مينا فيزيقي معرفي من خلال علم الحوسبة الكمية ، حيث يعتبر دويتش بأن

⁸ _ دويتش ، دافيد: نسيج الحقيقة ، ت: منير شريف ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2009 ، ص 13.

⁹ _ المصدر السابق نفسه ، ص 14.

¹⁰ _ المصدر السابق نفسه ، ص 14.

هذا الكون تتم إدارته من خلال الحاسب الكمي العالمي بشكل رياضي ومنطقي منتظم ، إلا أن دويتش يقرر بأن العقل الإنساني هو أحد المنابع الأساسية للحقائق الموجودة في الكون ، إلا أن هذه الحقائق كما أوضحها دويتش فهي حقائق تقديرية وليست حقائق مطلقة ، وضمن هذا السياق المعرفي بين فيلسوف العلم كارل بوبر بأنه : (لا توجد حقيقة مطلقة ، وإن حقائقكم العلمية هي مجرد فروض ، حدث أنها حتى الآن قد تعذر تنفيذها)¹¹ .

وبهذا المعنى يتجلى مفهوم الحقيقة كمفهوم متطور بشكل دائم ، حيث تسعى معظم المعارف العلمية والإستمولوجية لتطوير حقائقها المعرفية والإستمولوجية بشكل مستمر من أجل الحفاظ على القيمة العلمية لهذه الحقائق المعرفية وبذلك يتبين بأن : (النظريات العلمية هي بمنزلة طرائق للنظر إلى العالم)¹² ، وضمن هذا السياق العلمي تعمل النظريات العلمية بشكل دائم على تمكين المحتوى المعرفي لجميع العلوم من خلال التركيز على تطوير القيمة المعرفية للحقائق العلمية ، ونقدها بشكل دائم من أجل خلق بيئة علمية مناسبة يتم فيها زيادة المعارف بما يخدم الوجود الإنساني بشكل عام ، وبما يساهم في تقدم العلم والمعرفة .

والنظرية الرابعة : ضمن نسيج الحقيقة عند دويتش فهي نظرية التطور التي وضعها عالم الأحياء تشارلز دارون والتي تقوم على فكرة مبدأ الانتخاب الطبيعي ، حيث يبين دارون بأن الموارد الموجودة في الكون من غذاء وشروط أخرى ضرورية للحياة هي محدودة جداً ولا تكفي إلا عدداً محدوداً جداً أيضاً من الكائنات الحية في الكون ، ولذلك تتصارع جميع هذه الكائنات الحية فيما بينها في سبيل الحصول على هذه الموارد بما يكفل لها الاستمرار في الحياة والبقاء في هذا الكون المحكوم بالصراع ، وهكذا : (ذهبت نظرية دارون إلى أن دنيا الطبيعة فيها سلسلة لا تنتهي من الكفاح من أجل الحياة ، إذ ينقض الحيوان الوحشي على غيره فيهلكه ، وكذلك تتنافس جميع الكائنات الحية في الحصول على الغذاء والماء والمأوى ، فما كان منها الأقوى والأسرع والأصلب ، فهو الذي يبقى ، أما الضعيف فيهلك ، والأنواع القوية القادرة على الفتك بمنافسيها ، القادرة على التكيف مع البيئة تبقى وتحكم بالفناء على الأنواع الضعيفة الأقل تكيفاً مع البيئة ، وعلى هذا النحو يتم الانتخاب الطبيعي)¹³ .

ويبين عالم الأحياء دارون بأن عملية الانتخاب الطبيعي تساعد الكائنات الحية على امتلاك صفات طبيعية أكثر ملائمة للظروف الطبيعية الموجودة ، بحيث تتمكن هذه الكائنات الحية من تحقيق التكيف الطبيعي مع شروط البيئة الموجودة ، ويبين دارون آلية عمل مبدأ الانتخاب الطبيعي ضمن هذا السياق المعرفي بقوله : (وبما أن عدد الذين يولدون من كل نوع هو أكبر من أن يعيش وبما أنه بالتالي ، هناك صراع يتكرر كثيراً من أجل البقاء ، فالذي يحدث بعد ذلك هو : لو أن أي كائن تمايز بأي قدر بسيط ، وبأي وسيلة مفيدة له ، تحت تأثير ظروف الحياة المعقدة والكثيرة التغيير فسوف تكون له فرصة أفضل للاستمرار في الحياة ، وبالتالي سوف يتم انتقاؤه طبيعياً وبناءً على المبدأ القوي للوراثة فإن أيّ ضرب منقّى سيميل إلى الإكثار من شكله الجديد والمعدّل)¹⁴ ، وبذلك يوضح دارون بأن مبدأ

¹¹ _ دوكنز ، ريتشارد : العلم والحقيقة ، ت : مصطفى فهمي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2005 ، ص 24 .

¹² _ feyerabend, paul : problems of empiricism in beyond the edge of certainty , colodny , published eoglewood cliffs , newjersey , 1965 , p: 29 .

¹³ _ الخولي ، يمني : فلسفة كارل بوبر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1989 ، ص 178 .

¹⁴ _ دارون ، تشارلز : أصل الأنواع ، ت: مجدي المليجي ، تقديم : سمير صادق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2004 ، ص

الانتخاب الطبيعي يجعل من البقاء للأقوى فقط ، حيث تستمر بالبقاء الكائنات الأكثر قوة والأكثر ملائمة للظروف ، بينما الكائنات الضعيفة والتي لا تقدر على مواجهة الظروف ، فإن مصيرها هو الموت المحتّم .

وطبق فيلسوف العلم كارل بوبر مبدأ الانتخاب الطبيعي على الإستمولوجيا الخاصة به ، حيث وضّح بوبر بأن النظريات العلمية تخضع لمبدأ الانتخاب الطبيعي ، والنظريات العلمية الأقوى التي يكون بمقدارها تقديم الحلول الأنسب للمشاكل العلمية الراهنة هي النظريات التي ستنتصر على باقي النظريات الضعيفة التي لا تستطيع تقديم الحل العلمي المناسب للمشاكل العلمية الراهنة ، بما يتناسب مع الواقع العلمي القائم .

وضمن هذا السياق الإستمولوجي أكد بوبر بأن المعرفة بما تتضمنه من حقائق علمية ومعرفية تتطور باستمرار ، وهذا ما أكدّه أيضاً فيلسوف العلم ديفيد دويتش الذي طبق إستمولوجيا كارل بوبر على مذهبه الإستمولوجي الخاص ، حيث اعتبر بأن الإستمولوجيا الخاصة بفيلسوف العلم كارل بوبر هي أحد المكونات الأساسية الأربعة لنسيج الحقيقة ، وهذا هو المبدأ المعرفي الذي اتبعه دويتش في فلسفته العلمية الخاصة به .

ويؤكد دويتش على أن زيادة المخزون المعرفي من النظريات العلمية وكذلك زيادة المخزون المعرفي من الحقائق العلمية والمعرفية ، يعمل على زيادة الفهم الإنساني بالمعارف القائمة ، ويساهم في زيادة الهرم المعرفي ، حيث يوضّح دويتش ذلك بقوله : (وعليه فإن مخزوننا من النظريات المعروفة ، أشبه بمكعبات الثلج المخزنة لدينا ، مخزوننا من الحقائق المسجلة ، كليهما لا يجعل البناء الكلي أكثر صعوبة مما كان عليه في مجال الفهم ، لأنه بينما تصبح نظرياتنا الخاصة عديدة وأكثر تفصيلية فهي تستمر في أن تصبح أقل في الدرجة طالما تجاوزتها بما تحويه من فهم ، النظريات الأكثر عمقاً وعمومية ، وهذه الأخيرة تصبح أقل من حيث العدد ، ولكنها أكثر عمقاً وأكثر عمومية ، وأقصد بأكثر عمومية : أن كلاً منها يقول ما هو أكثر عن مستوى أعرض الحالة أكثر مما قالته فيما مضى النظريات المتميزة ، وأعني بأكثر عمقاً : أن كلاً منها يشرح أكثر _ بما يتيح فهماً أكثر _ عما احتوته أسلافها من النظريات مجتمعة)¹⁵ .

ويقارن دويتش بين البناء العلمي للنظريات القديمة والنظريات الحديثة ، حيث يوضّح دويتش بأن البناء المعرفي للنظريات القديمة قد اختلف كثيراً عن البناء العلمي للنظريات الحديثة ، فلم تعد النظريات العلمية الحديثة تعتمد على مبدأ التراكمية العلمية الذي اعتمدهت النظريات العلمية القديمة ، بل اختلف البناء العلمي للنظريات العلمية الحديثة جذرياً ، وقد وضّح دويتش ذلك في كتابه نسيج الحقيقة بقوله : (الوصول لما عليه معرفتنا الجارية لم يبنى فقط على تراكم نظريات أكثر حول ذات الموضوع ، كما كانت معارف العلم القديم ، إن معرفتنا الواضح منها وغير الواضح ليست فقط أكثر مما كان يعرف ، ولكن اختلفت من حيث بنائها أيضاً ، وكما قلت فالنظريات الحديثة أقل في العدد ، ولكنها أكثر عمقاً وأكثر عمومية)¹⁶ .

ويعتبر دويتش من أنصار المعرفة المفتوحة ، حيث يوضّح ذلك في كتابه نسيج الحقيقة بقوله : (فإذا ما كانت المعرفة ماضية إلى نهاياتها _ المفتوحة _ وأنها متجهون إلى حالة أن فرد ما يمكنه فهم ما هو مفهوم ، فإن على عمق نظرياتنا أن يستمر في النماء السريع كفاية لتصبح هذه الحالة ممكنة ، وهذا يحدث فقط إذا أمكن تحقيق توحيد عالي المستوى لنسيج الحقيقة ، حيث يصبح مفهوماً أكثر وأكثر خلال نماء المعرفة ، وإذا ما حدث هذا ستكون نظرياتنا عامة جداً

¹⁵ _ دويتش ، دافيد: نسيج الحقيقة ، ت: منير شريف ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2009 ، ص 44 .

¹⁶ _ المصدر السابق نفسه ، ص 45 .

وعميقة ومندمجة مع بعضها البعض ، وتصير _ بشكل فعّال _ نظرية موحدة لنسيج الحقيقة)¹⁷ ، ويتبين ضمن هذا السياق المعرفي بأن دويتش يصرح بأن المعرفة في حالة نماء علمي مستمر لا يتوقف أبداً ، حي تخضع المعرفة لمبدأ الانتخاب الطبيعي ، فتحلّ النظريات الأقوى محلّ النظريات الأضعف ، ويتم استبدال جميع المعارف التي لا تتناسب الواقع العلمي الراهن بمعارف أخرى تواكب التطور المعرفي والعلمي الراهن ، ويصبح التطور المعرفي هو لغة العلم الأساسية ، فلا تتوقف المعارف من تطوير حقائقها وزيادة محتواها المعرفي ، بحيث يصبّ ذلك في زيادة قيمة الصدق المعرفي للحقائق ضمن شتى أنواع الحقول العلمية .

نستنتج مما تقدم بأن : فيلسوف العلم ديفيد دويتش قد حدّد الأبعاد الإستمولوجية لنسيج الحقيقة من خلال تحليله الإستمولوجي لنسيج الحقيقة ، حيث أعلن دويتش بأن نسيج الحقيقة يتألف من أربع نظريات وهي : أولاً : نظرية الكم ، ثانياً : نظرية المعرفة كما صاغها كارل بوبر ، ثالثاً : نظرية الحوسبة والتي تسمى بنظرية الحوسبة الكمية ، ورابعاً : نظرية التطور التي وضعها عالم الأحياء تشارلز دارون ، ويبيّن دويتش بأن توحيد هذه النظريات الأربعة ضمن نسيج الحقيقة يسهم في خلق نظرية لكل شيء ، وهذه النظرية تساهم بحسب دويتش في تكوين نظرة علمية جديدة تفسّر العالم تفسيراً علمياً ومنطقياً ، وتساهم في تكوين مذهب معرفي إستمولوجي جديد يهدف إلى اكتشاف المعارف الجديدة القابلة للنقد المعرفي والتطوير العلمي ، بما يساهم في رفع سوية المعارف وخلق بيئة علمية جديدة ومتطورة من البحث العلمي ، بحيث يتمكن الباحثون في مجال العلوم والمعارف المختلفة من بناء نظريات علمية ومعرفية جديدة ، وذلك وفقاً لقواعد نسيج الحقيقة التي أقرها دويتش والتي تتضمن جميع المبادئ الإستمولوجية والمعرفية التي حدّتها النظريات الأربعة ضمن نسيج الحقيقة ، وبذلك أسهم دويتش في رسم مسار إستمولوجي منطقي جديد ، بحيث تمّ الاعتماد على هذا المسار الإستمولوجي في تطوير عملية البناء العلمي للمعارف المتنوعة من خلال استخدام نسق منطوق من مناهج البحث العلمي والمعرفي الإستمولوجي .

ثالثاً: العلاقة الجدلية بين المعرفة والحقيقة

إن عملية توحيد كل من : نظرية الكم ، نظرية المعرفة كما صاغها كارل بوبر ، نظرية الحوسبة والتي تسمى بنظرية الحوسبة الكمية ، ونظرية التطور التي وضعها عالم الأحياء تشارلز دارون ضمن نسيج الحقيقة عند دويتش قد نتج عنه تكوين علاقة جدلية بين المعرفة والحقيقة ، حيث أكدّ دويتش على أن نسيج الحقيقة هو الجامع الأكبر لجميع النظريات المعرفية والحقائق المرتبطة بها ، ويتبين ضمن هذا السياق المعرفي : (إن النظريات التي صيغت حديثاً تمثل بدائل عن وجهة النظر المقبولة)¹⁸ ، وبهذا المعنى يؤكد دويتش على أنّ النظريات المعرفية في عملية تطور دائم ومستمر لا يتوقف نهائياً ، وإن كل مرحلة علمية لها نظرياتها الخاصة بها التي تتناسب هذه المرحلة ، ولكن عندما يتم الانتقال إلى مرحلة علمية جديدة ، فيجب البحث عن نظريات علمية جديدة تتناسب التطور العلمي الموجود في المرحلة العلمية الجديدة ، وتطابق المبادئ الإستمولوجية التي صاغها دويتش في نسيج الحقيقة ، بما يساهم في حلّ المشكلات العلمية الجديدة ، وتجاوز جميع العقبات المعرفية التي تشكل حاجزاً في وجه تطور المعرفة العلمية ، وبالتالي يتبين بهذا

¹⁷ _ المصدر السابق نفسه ، ص 48.

¹⁸ _ feyerabend , paul : reply to criticism ; comments on smart sellars and putnam, boston studies in the philosophy of science newyork , 1965 , p :224 .

المعنى بأنه: (يجب ألا نترك نفوسنا تقع في مشكلات خطيرة حول الألفاظ ومعانيها ، بل يجب أن تؤخذ في الحسبان أمور الواقع ، وتقديرات هذا الواقع من فروض ونظريات ، والمشكلات التي تحلها والمشكلات التي تنشأ عنها)¹⁹ .
 يبين دويتش بأن قياس المعارف وفقاً لقوانين نسيج الحقيقة يساهم في فهم الكون وظواهره بشكل علمي ومنطقي دقيق ، وهذه النتيجة هي أحد النتائج الأساسية للعلاقة الجدلية بين المعرفة والحقيقة ، ويؤكد دويتش ضمن هذا الإطار المعرفي الجديد على صحة اعتقاد عالم الفلك والفيزياء والرياضيات الإيطالي غاليليو غاليلي ، والذي آمن بأن (الكون يمكن فهمه من خلال عبارات كونية مصاغة في شكل قوانين رياضية)²⁰ ، وبالتالي تصبح لغة الرياضيات هي اللغة الرسمية التي يتحدث بها الكون ، وتصبح جميع الظواهر الكونية محكومة بلغة القوانين الرياضية التي تتيح تحديداً دقيقاً للعالم من خلال القواعد الرياضية التي تقيس جميع الوقائع العلمية قياساً كمياً دقيقاً ، وهذه اللغة الدقيقة التي يسير الكون وفقها هي ذاتها لغة الأعداد الصارمة التي تحدد بدقة جميع النتائج العلمية الخاصة بالظواهر والتجارب العلمية والتي لا تقبل النتائج التقديرية .

ويوضح فيلسوف العلم ديفيد دويتش بأن النظريات العلمية تتم صياغتها وفق المبادئ الإستمولوجية التي يتضمنها نسيج الحقيقة ، ويؤكد دويتش ضمن هذا السياق بأن: (النظريات العلمية في الحقيقة لا تستنتج من أي شيء ؛ فلا نقرؤها في الطبيعة ولا تكتبها الطبيعة فينا ؛ بل هي تخمينات أو افتراضات جريئة يبتكرها العقل البشري بدمج الأفكار الموجودة بالفعل وتغييرها وإعادة ترتيبها والإضافة إليها بهدف تطويرها ، إننا لا نولد صفحة بيضاء ، بل بتوقعات ونوايا كامنة وقدرة فطرية على العمل على تطويرها باستخدام التفكير والتجربة ، والتجربة ضرورية للعلم ، ولكن دورها يختلف عما نفترضه التجريبية ، فهي ليست المصدر الذي تستنتج منه النظريات ، وإنما هي أداة رئيسية للاختيار بين النظريات التي تم تخمينها بالفعل ، وهذا ما يعرف بالتعلم من التجربة)²¹ .

وبذلك نستنتج مما تقدم بأن فيلسوف العلم ديفيد دويتش من أنصار المذهب الذاتي في المعرفة ، والذي يؤكد على أن العقل البشري هو المصدر الأول لجميع المعارف الموجودة في العالم الموضوعي الخارجي ، وإن التجربة وأدواتها العلمية المتنوعة هي عبارة عن أدوات تستخدمها الذات الإنسانية العاقلة في افتراض النظريات العلمية الجديدة وصياغتها علمياً بشكل منطقي دقيق بما يتناسب مع المبادئ الإستمولوجية التي قررها دويتش في نسيج الحقيقة ونظرياته الأربعة ، وبالتالي فإن: (العلم لم يكن تسجيلاً أجوفاً للحقائق ، بل هو سعي وراء الحقائق وتنظيمها)²² ، وهذا بدوره يدل على أن دويتش قد أكد على أن مفهوم الحقيقة يتطور باستمرار وبالتالي تتطور المعرفة باستمرار ، وذلك بناءً على تطور حقائقها ، وهنا تكمن قدرة العقل البشري على الإحاطة بهذا التغيير المعرفي المستمر الذي يثمر دائماً نظريات معرفية جديدة تساهم بشكل مستمر في زيادة المحتوى المعرفي وتضخيم قيمة الصدق المعرفي ضمن النظريات المعرفية من خلال استخدام منهج التكذيب ، وذلك من أجل التحقق الدائم من النظريات المعرفية وقياس مدى ملائمتها للواقع العلمي المتغير الذي يطور ذاته باستمرار من دون توقف وبالتالي: (إن التحولات العلمية الكبرى يمكن قراءتها على أنها نتائج لكشوف ، كما يمكن قراءتها من جهة أخرى على أنها بروز لصور جديدة في إرادة الحقيقة)²³ .

¹⁹ _ popper , karl : unended quest an intellectual autobiography , willian collins , siximp , 1976 , p 19 .

²⁰ _ دويتش ، دافيد : نسيج الحقيقة ، ت: منير شريف ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2009 ، ص 124 .

²¹ _ دويتش ، ديفيد : بداية اللانهاية ، ت: دينا أحمد مصطفى ، مؤسسة هندواي ، القاهرة ، 2016 ، ص 14 .

²² _ برونوفسكي ، ج : العلم والبداهة ، ت: أحمد عماد الدين ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2011 ، ص (229 – 230) .

²³ _ فوكو ، ميشيل : جنيلوجيا المعرفة ، ت: أحمد السطاتي ، دار توبقال ، المغرب ، 2008 ، ص 10 .

وضمن هذا السياق يصبح القانون العلمي هو لغة الحقيقة الرياضية التي يتم استخدامها من أجل صياغة النتائج العلمية التي تم التوصل إليها من خلال عمليات البحث العلمي الدائم والمستمر ضمن حقول المعرفة المتنوعة ، وهكذا يكتسب مفهوم الحقيقة قيمة عليا بالنسبة لعالم المعرفة الإنسانية ، بحيث يحمل في مضمونه مجموعة كبيرة من الأبعاد الإستمولوجية التي تحمل في طياتها بذور النمو والارتقاء المعرفي ، بما يساهم في زيادة العمق المعرفي للمعرفة الإنسانية كما وضح دويتش في كتابه نسيج الحقيقة ، فتصبح الحقائق أشد عمقاً كما وضح دويتش ، وهذا بدوره يشكل الغاية الأساسية للمذهب الإستمولوجي الذي صاغه دويتش في فلسفة العلم الخاصة به .

وإن العلاقة الجدلية بين المعرفة والحقيقة تعمل ضمن الإطار المعرفي الخاص بها فتجعل العلاقة بين الذات العارفة والواقع العلمي الموضوعي علاقة جدلية أيضاً ، فتصبح الذات العاقلة هي المؤول الأساسي للواقع العلمي بتفاصيله الدقيقة ، لأن الذات العارفة تلعب دور المترجم للافتراضات التي تم تخمينها من خلال المعطيات العلمية الموجودة في الواقع العلمي ، والتي يتم بناءً عليها تأسيس النظريات العلمية ، وبهذا المعنى تتجلى الوظيفة الأساسية للذات العاقلة ضمن حقل المعرفة ، بأنها بحث دائم عن الحقيقة ، وهكذا يتم التركيز من خلال الذات العاقلة على المنهجية المستخدمة في عملية البحث الإستمولوجي عن الحقيقة ، حيث تعمل الذات العاقلة على استخدام قواعد المنهج العلمي في سبيل بناء المعارف وصياغة نظرياتها بالأسلوب الرياضي الدقيق الذي يجعل من النظريات وقائع علمية قابلة للتحقق من خلال مبدأ القياس والاختبار العلمي ، فتدخل النظريات العلمية في حالة تنافس من أجل إثبات معيار جودتها العلمية ، بحيث تبقى النظريات الأقوى وتدخل النظريات ذات الجودة العلمية الأضعف حيز الإلغاء ، وتستمر عملية التطور المعرفي بما يساهم في زيادة محيط المعرفة ودقتها الرياضية الذي يجعل منها معرفة منطقية بالمعنى العلمي الصحيح .

وضمن هذا السياق ترتبط القيمة المعرفية للحقائق كما وضح دويتش بمدى قابليتها للتطبيق على أرض الواقع العلمي وبمدى قدرتها على معالجة المشكلات العلمية الراهنة التي يتعرض لها الباحث العلمي عند إجراءه لأبحاثه العلمية ، وهذا أحد أهم معالم المعرفة العلمية المتطورة التي تتخذ من التقدم العلمي السمة الجوهرية لتطور تقنيات المعرفة وأدواتها المتنوعة ، وهذا يساعد الباحثين في مجال المعرفة وفلسفة العلم على بناء المذاهب الإستمولوجية الخاصة بهم وفق قواعد علمية صحيحة تضمن لهم الوصول إلى النتائج العلمية الدقيقة التي تساهم في تحقيق الارتقاء العلمي .

الخاتمة ونتائج البحث :

تتاول هذا البحث موضوع (التحليل الإستمولوجي لمفهوم الحقيقة عند ديفيد دويتش) بالدراسة والنقد الإستمولوجي والبحث المعرفي عن المضمون الإستمولوجي لمفهوم الحقيقة عند ديفيد دويتش ، حيث تمّ التركيز على دراسة أهمية المعنى الإستمولوجي لمفهوم الحقيقة ، كما وتمّ التركيز على دراسة الأبعاد الإستمولوجية لنسيج الحقيقة عند ديفيد دويتش ، كما وتمّ استنتاج الدلالات المعرفية للعلاقة الجدلية القائمة بين نظرية المعرفة ومفهوم الحقيقة عند ديفيد دويتش .

ومن أهم النتائج التي تمّ التوصل إليها في هذا البحث : هو أنّ مفهوم الحقيقة عند فيلسوف العلم ديفيد دويتش قد تضمن معنى إستمولوجي خاص ، حيث أكد دويتش على أن للحقيقة معيار إستمولوجي يتم من خلاله قياس صحة

النظريات المعرفية ومدى توافقها مع الواقع العلمي الراهن ومشكلاته المتنوعة ، بحيث يتم قياس مدى مطابقتها المضمون العلمي للنظريات مع الواقع العلمي الموضوعي ، وبهذا يتم الوصول إلى تحقيق أعلى قيمة للصدق المعرفي من خلال المعيار الذي اتخذته دويتش في اختبار صحة النظريات العلمية .

وتبين أيضاً من خلال الدراسة التحليلية والنقدية لمفهوم الحقيقة عند دويتش : بأن مفهوم الحقيقة عند دويتش قد امتلك أبعاداً إبستمولوجية خاصة به ، حيث أكد دويتش بأن للحقيقة نسيج معرفي خاص بها يتكون من أربع نظريات معرفية وهي : أولاً : نظرية الكم : والتي توّضح بأن الكون الذي نعيش فيه ليس منفرداً ، ولكنه واحد من عدد لا نهائي من الأكوان ، ثانياً : نظرية المعرفة كما صاغها كارل بوبر : والتي تهدف إلى تفسير واقعي للعلوم الحديثة مبني على الفرضيات والحسب التي لا تقبل التأكيد ، ثالثاً : نظرية الحوسبة والتي تسمى بنظرية الحوسبة الكمية ، رابعاً : نظرية التطور التي وضعها تشارلز دارون : والتي خضعت خلال القرن العشرين لتعديلات كثيرة منها نظرية الاستنساخ، بحيث تعمل هذه النظريات الأربع ضمن نسيج الحقيقة بشكل علمي متناغم من أجل إقرار المعارف الأكثر صدقاً وتبيين الأبعاد الإبستمولوجية لهذه الحقائق .

كما وتمّ التوصل إلى استنتاج مفاده بأنه : توجد علاقة جدلية قائمة بين مفهوم الحقيقة ومفهوم المعرفة ، وهذه العلاقة الجدلية تقوم على أساس توحيد النظريات الأربع ضمن نسيج الحقيقة بما يكفل تحقيق قيمة الصدق العلمي في أعلى درجاته ، وفي هذا السياق يكتسب مفهوم الحقيقة معنى متطور يجعل من المعرفة متطورة ، فكل معرفة تتطور بناءً على تطور حقائقها التي تركز عليها ، وهذا بدوره يشكل أهم الإشكاليات المعرفية في مجال الإبستمولوجيا وتطور فلسفة العلم .

المصادر والمراجع :

- 1 _ الخولي ، يمى : فلسفة كارل بوبر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، 1989 .
- 2 _ بنمخولف ، علي : الحقيقة ، ت : عبد القادر قنيني ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2005 .
- 3 _ برونوفسكي ، ج : العلم والبداهة ، ت : أحمد عماد الدين ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2011 .
- 4 _ دارون ، تشارلز : أصل الأنواع ، ت : مجدي المليجي ، تقديم : سمير صادق ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2004 .
- 5 _ دويتش ، دافيد : نسيج الحقيقة ، ت : منير شريف ، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، 2009 .
- 6 _ دويتش ، ديفيد : بداية اللانهاية ، ت : دينا أحمد مصطفى ، مؤسسة هنداوي ، القاهرة ، 2016 .
- 7 _ دوكنز ، ريتشارد : العلم والحقيقة ، ت : مصطفى فهمي ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، 2005 .
- 8 _ غادامير ، هانز : الحقيقة والمنهج ، ت : د. حسن ناظم ، دار أويا ، طرابلس ، 2007 .
- 9 _ فوكو ، ميشيل : جنياولوجيا المعرفة ، ت : أحمد السطاتي ، دار توفيق ، المغرب ، 2008 .
- 10 _ هيدجر ، مارتين : التقنية - الحقيقة - الوجود ، ت : محمد سبيلا ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 1995 .
- 11 _ هابرماس ، يورغن : اتيقا المناقشة ومسألة الحقيقة ، ت : د. عمر مهيبيل ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، 2010 .
- 12 _ وين ، تشارلز : الطفرات العلمية الزائفة ، ت : محمد خضر ، كلمات عربية ، مصر ، 2011 .

13_ feyerabend, paul : problems of empiricism in beyond the edge of certainty , colodny , published eoglewood cliffs , newjersey , 1965 .

14_ feyerabend , paul : reply to criticism ; comments on smart sellars and putnam, boston studies in the philosophy of science newyork , 1965 .

15_ popper , karl : unended quest an intellectual autobiography , willian collins , siximp , 1976 .

Sources and references:

1_ Al-Khouli, Yemeni: The Philosophy of Karl Popper, The Egyptian General Book Organization, Egypt, 1989.

2_ Benmakhlouf, Ali: The Truth, T: Abdelkader Qenini, The Arab Cultural Center, Casablanca, 2005.

3_ Bronowski, A: Science and Intuition, T: Ahmed Emad El-Din, The National Center for Translation, Cairo, 2011.

4 - Darwin, Charles: The Origin of Species, T: Majdi Al-Meligy, Presented by: Samir Sadiq, The Supreme Council of Culture, Cairo, 2004.

5_ Deutsch, David: The Fabric of Truth, T: Mounir Sharif, The National Center for Translation, Cairo, 2009.

6_ Deutsch, David: The Beginning of Infinity, T: Dina Ahmed Mostafa, Hindawi Foundation, Cairo, 2016.

7_ Dawkins, Richard: Science and Truth, T: Mostafa Fahmy, The Supreme Council of Culture, Cairo, 2005.

8_ Gadamer, Hans: Truth and Method, T: D. Hassan Nazim, Dar Oya, Tripoli, 2007.

9_ Foucault, Michel: Genealogy of Knowledge, T: Ahmed El Satati, Dar Toubkal, Morocco, 2008.

10_ Heidegger, Martin: Technology - Truth - Existence, T: Muhammad Sabila, Arab Cultural Center, Casablanca, 1995.

11_ Habermas, Jurgen: Ethics of Discussion and the Question of Truth, T: D. Omar Mehibel, Difference Publications, Algeria, 2010.

12_ Wayne, Charles: Pseudoscientific Mutations, T: Muhammad Khader, Arabic Words, Egypt, 2011.